

تجربة محمد عابد الجابري في التعامل مع القرآن الكريم - تعريفاً، وفهماً، وتفسيراً - « دراسة نقدية »

بقلم
د/ غنية بوحوش (*)



ملخص

حاول هذا المقال أن يعرض تجربةً في التعامل مع القرآن الكريم تعريفاً وفهماً وتفسيراً، لواحد من مشاهير مفكرين ومثقفين الوطن العربي، وهو محمد عابد الجابري، وهي تجربة جديرة بالبيان لما عرفه صاحبها من سعة اطلاع على الفلسفة العربية والإسلامية، والفلسفة الغربية في آن. ورغبة صاحبها في تقديم مشروع نهضوي من خلال قراءة جديدة للقرآن الكريم، قراءة تتجاوز التراث، وتقدم البديل الأفضل فيما تراءى لمحمد عابد الجابري، إلا أنه وعلى الرغم من سعة اطلاعه، وصدق رغبته الإصلاحية، فتجربته مثقلة بالمجازفات والتناقضات، والأخطاء، وإن كان كانت لا تخلو من المحاسن، على ندرتها الشديدة.

الكلمات المفتاحية: تجربة محمد عابد الجابري؛ تعريف القرآن الكريم؛ تفسير القرآن الكريم؛ دراسة نقدية.

(*) كلية الآداب واللغات، جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل، الجزائر.

gbouhouche@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/06/02 □ تاريخ القبول: 2020/09/05 □ تاريخ النشر: 2020/09/15

• معهد العلوم الإسلامية جامعة الوادي

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله محمد الأمين، وعلى آله وصحبه، والتابعين، أجمعين، وبعد.

فقد تعددت أنواع الخطاب، والنصوص، وتنوعت، وتعددت مناهج تحليلها، وقراءتها، والنظر فيها، غير أن المتصدي للتعامل مع القرآن الكريم فهما وتفسيرا، عليه أن يعي طبيعته، وما ينبغي له، من الآليات الواجبة، تجنباً، للتعسف، والتخبّط، والتقوّل، والضلال، والإضلال. ذلك أنه لوحظ أن كثيرين انفتحت شهيتهم لتفسير القرآن، وهم لا يمتلكون عدّة، وشبه عدة، ولا يجيدون وسائل وآليات التحليل والتفسير، ولا شبهها، أغراهم بذلك مناهج جديدة ولدت في بيئات وثقافات مختلفة، اكتفوا بإسقاطها إسقاطاً بيغائياً. فأسأؤوا من حيث أرادوا الإحسان.

وهذا مقال، حاول عرض تجربة محمد عابد الجابري¹، في التعامل مع القرآن الكريم، وهي تُعدُّ تجربةً، من أخطر التجارب التي اتخذت من القرآن الكريم مادة للتفسير والتحليل، لسعة اطلاع صاحبها على التراث العربي والإسلامي، من جهة، وقوة تشربّه الفلسفة والفكر الغربيين، من جهة ثانية، ومحاولته، عرض مشروع نهضوي تنويري، وفق المنظور الغربي، تبعاً لذلك.

والسؤال الجدير بالطرح:

هل قدّم محمد الجابري جديداً مفيداً في تعريفه للقرآن؟ هل قدّم جديداً مفيداً في تفسيره للقرآن الكريم؟ هل قدّم محمد الجابري تعريفاً وتفسيرا جديدين للقرآن الكريم، يمكن من خلاهما أن تحقق الأمة وثبة نوعية، وتستدرك ما فاتها في الفعل الحضاري، لقرون خلت من الزمان؟ أم أن الجابري اكتفى بتعظيم الدعوى والتبشير، وقصّر عن الوفاء؟ هل رام حقاً الإجابة عن أسئلة مستعادة؟ أم أنها نزعة تشكيكية،

تجربة محمد عابد الجابري في التعامل مع القرآن الكريم... "دراسة نقدية" د. غنية بوحوش

على نهج الاستشراق؟

تلکم أسئلة حاولت الإجابة عنها من خلال دراسة مؤلفات محمد الجابري، وعلى رأسها: المدخل إلى القرآن الكريم، وفهم القرآن الحكيم، واستعنت لاستجلاء التجربة الجابرية، بما أمكنني الاطلاع عليه من الدراسات السابقة، من مثل:

- منهج التعامل مع النص القرآني حسب ترتيب النزول، قراءة في كتاب الجابري "فهم القرآن الحكيم، سليمان محمد الدقور، (2008).
- الأخطاء التاريخية والمنهجية في مؤلفات محمد، ومحمد عابد الجابري، دراسة نقدية تحليلية هادفة، خالد كبير علال، (2008).
- الشبه الاستشراقية في كتاب مدخل إلى القرآن الكريم للدكتور محمد عابد الجابري رؤية نقدية، عبد السلام البكاري، الصديق بوعلام، (2009).
- مدخل إلى القرآن الكريم: استكشاف أم تشكيك؟، قراءة في كتاب "مدخل إلى القرآن الكريم: في التعريف بالقرآن" للدكتور محمد عابد الجابري، محمد إكيچ، (2015).
- التفسير المعاصر للقرآن الكريم وفق مرويات النزول عرض ونقد، إبراهيم رحمانی (2016).

وكلها دراسات جادة، ومفيدة، وجّهت بعضها، نقدها لتعريف الجابري للقرآن، ووجّهت بعضها الآخر نقدها لمنهجه في التفسير، والجديد الذي رآه مقالتي، هو نقد التجربة الجابرية في جانبها (التعريف والتفسير)، قصد تقديم رؤية متكاملة، تقرب المنظور الجابري للقرآن الكريم، وكيفية التعامل معه، تعريفاً وفهماً وتفسيراً.

وقد وظّفت الوصف؛ المرادف بالنقد، والتحليل، وعرضت التجربة الجابرية في

مطلين، هما:

الأول: تجربة الجابري في تعريف القرآن: عرض ونقد.

الثاني: تجربة الجابري في تفسير القرآن: عرض ونقد.

توطئة

عاش محمد الجابري، في فترة من حياة الأمة الإسلامية، فيها الكثير من الخيبات، وشأنه شأن الكثير من مثقفي عصره، حاول تشخيص الداء، ووصف الدواء، فكانت قراءة التراث قراءة نقدية، ومحاولة تقديم قراءة بديلة من شأنها أن تنهض بالأمة، وتبعثها من جديد.

ولعل الجابري، شكّ في تركيبة العقل العربي، وآليات اشتغاله، فكتب - محاولاً -، البحث والتحليل في العقل، وفي التراث، وأخيراً، رأى أن يكتب في القرآن الكريم نفسه -تعريفاً وتفسيراً-، مستجيباً في ذلك لمقترح أحد أصدقائه من السعودية²، وزعم، محمد الجابري، أن تكون تجربته في التعامل مع القرآن الكريم، مختلفةً عن تقدم -مسلمين وغير مسلمين-، وهي تجربة فيها النادر من الحسن، والكثير من السوء، ما يحمد وما يعاب، وفي المطالب الآتية، بيان ذلك.

المطلب الأول

تجربة محمد عابد الجابري في تعريف القرآن الكريم: عرض ونقد

أولاً: عرض التجربة الجابرية في التعامل مع القرآن، تعريفاً:

لم يجد الجابري في تراث علوم القرآن الضخم³، وفي تعريفات القدامى للقرآن الكريم، على كثرتها، وتنوع اختصاصات أصحابها العلمية، ما يشفي غليله، فراح يبحث للقرآن عن تعريف، وبرّر لذلك بقوله: "التعريف بالقرآن! ... بأيّ معنى؟ هل يحتاج القرآن إلى تعريف؟ سؤال مشروع تماماً عندما يتعلق الأمر بـ"كما⁴ هو معروف عند الناس"، أي مألوفاً ومشهوراً، كما هو الشأن، مثلاً، بالنسبة إلى الألفاظ المتدوالة في حديث الناس يومياً كـ"الإنسان" و"الأرض" و"الشجر" إلى غير ذلك مما

تجربة محمد عابد الجابري في التعامل مع القرآن الكريم... "دراسة نقدية" د. غنية بوحوش

يقال عنه: "أشهر من نار على علم"، أو "هل يحتاج النهار إلى دليل؟". أما عندما يراد من التعريف إعطاء فكرة عن المراد تعريفه ببيان صفاته ومميزاته أو تحديد ماهيته. فالأمر مختلف! "5.

بهذه التوطئة هيأ محمد الجابري القارئ لقبول البحث في تعريف القرآن، وأغراه بتوقع الجديد. وأردف بتقديم بعض التعريفات والتعليق عليها، من دون عزوها لأصحابها⁶، سماها: "نماذج"، ورتبها ترتيباً تصاعدياً وفق نسبة حياديتها، -فيما تراءى للجابري-، وفي الآتي عرضها:

◀ النموذج الأول:

قال محمد الجابري: "قلنا مع القائل إنه هذا النص "الذي يقرؤه المسلمون ويكتبونه في مصاحفهم"⁷.

وعلّق على هذا النوع الأول، قائلاً: "هذا النوع من التعريف يشير إلى ما هو حاضر في المجال البصري أو الذهني للمخاطب، وهو تعريف موضوعي حيادي لا يضيف من عنده أيّ عنصر على المشار إليه كما هو معطى للمشاهد"⁸.

وبدا لي أن هذا التعريف افتراضيّ، إذ لم أقف في حدود ما اطلعت عليه، على تعريف للعلماء، شبيه بهذا، وقد وصف محمد الجابري، هذا التعريف بـ: "موضوعي حيادي لا يضيف من عنده أيّ عنصر على المشار إليه كما هو معطى للمشاهد"، إلا أنني لا أراه كذلك، إذ لم يُشر ولو من طرف خفيّ إلى مصدره، ومن ثمّ فالتعريف يفضي إلى احتمالين:

الأول: أن ما يقرأه المسلمون، ويكتبونه في مصاحفهم، هو القرآن الوحي المنزل، يقينا.

الثاني: أن ما يقرأه المسلمون، ويكتبونه في مصاحفهم، ظنا منهم، أنه القرآن الوحي المنزل، وليس كذلك.

وعلى الاحتمال الثاني، فهذا التعريف، لا يخلو من النزعة التشكيكية.

◀ النموذج الثاني:

قال محمد الجابري: "قلنا مع القائل: "القرآن الكريم هو كلام الله سبحانه وتعالى، نزل به جبريل عليه السلام على نبينا محمد ﷺ، وهو المكتوب في المصحف، المبدوء بسورة الفاتحة، المختتم بسورة الناس"⁹.
وعلق، بقوله:

"الفارق بين هذا التعريف والذي سبقه هو وصف القرآن بأنه "كلام الله نزل به جبريل". وهذا لا يسلم به ابتداءً إلا المسلم المؤمن بأن القرآن "كلام الله، نزل به جبريل". فإذا نظرنا إلى هذا التعريف داخل دائرة الإسلام والمسلمين أمكن القول عنه إنه تعريف إسلامي حيادي، يقتصر على وصف المشار إليه كما هو في المجال التداولي الإسلامي، أي من دون صدور عن موقف مذهبي أو إيديولوجي"¹⁰.

أي نعم لا يسلم إلا المسلم بأن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى ووحيه، نزل به جبريل، وهذا لا يضر هذا التعريف، من جهة كونه نجح في الدلالة على المعرف، لأن غير المسلم المنكر لوحية القرآن، لا ينفعه هذا التعريف ولا غيره.

◀ النموذج الثالث:

"يقول هذا التعريف: القرآن" هو كلام الله تعالى ووحيه المنزل على خاتم أنبيائه محمد ﷺ المكتوب في المصحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المتحدى بإعجازه"¹¹.

وعلق عليه قائلاً: "الفرق بين هذا التعريف والتعريف الأخير ثلاثة أمور:

- (1) وصف النبي بأنه "خاتم أنبيائه"،
- (2) وصف القرآن بأنه المنقول إلينا بالتواتر"،
- (3) وصفه بأنه "المتحدى بإعجازه". فإذا كان الوصف الأول منصوحاً عليه في

تجربة محمد عابد الجابري في التعامل مع القرآن الكريم... "دراسة نقدية" د. غنية بوحوش

القرآن ومقبولا من طرف جميع المسلمين، فإن هناك مذهباً إسلامياً يميز في "النبوة"، - نبوة محمد ﷺ - بين ما هو محتوم فعلاً وبين ما هو مستمر بصورة من الصور. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، هناك داخل دائرة الإسلام من يجعل "التواتر" و"الإعجاز" موضوع نظر!¹².

والتعليق يشير إلى بعض الفرق الإسلامية التي لا يعتد بأرائها في طبيعة النبوة، وحقيقة التواتر وإعجاز القرآن الكريم، لمخالفتها جمهور الأمة.

◀ النموذج الرابع:

"هو كلام الله سبحانه وتعالى غير مخلوق، المنزل على النبي ﷺ وسلم باللغة العربية، المعجزة المؤيدة له، المتحدى به العرب، المتعبد بتلاوته، المنقول إلينا بالتواتر"¹³.

وعلق الجابري على هذا التعريف، بقوله: "ويتجلى الفرق بين هذا التعريف والتعريف الذي قبله في مسألتين: أولاهما: "قوله "غير مخلوق" من جهة، وثانيتهما قوله: "المنزل على النبي ﷺ باللغة العربية، المعجزة المؤيدة له المتحدى به العرب"، أما المسألة الأولى فتحيل إلى مذهب معين من المذاهب الكلامية في الإسلام. وأما الثانية فهي تحصر تحدي معجزة النبي ﷺ في "العرب"، والمفهوم أولئك المكذبون من قريش خصوم الدعوة المحمدية الذي تحداهم القرآن أن يأتوا بسورة مثله فلم يفعلوا. وهذه مسألة موضوع كلام أيضاً"¹⁴.

وهذا التعريف أيضاً ليس فيه ما يعيبه، فوصفه للقرآن بـ: "غير مخلوق"، هي ما عليه عقيدة أهل السنة والجماعة من جمهور المسلمين، ولا يضر قول من خالفهم في ذلك، وأما مسألة التحدي ففيها ما يُثبت للقرآن إعجازه للعرب ابتداءً وللناس كافة انتهاءً، وهو أيضاً مما أجمعت الأمة عليه، ولا يضر قول من خالفهم في ذلك.

◀ النموذج الخامس:

"القرآن الكريم كلام الله منه بدا، بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه

المؤمنون على ذلك حقا، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر¹⁵.

صدر محمد الجابري هذا التعريف، بقوله: "ومن أكثر التعريفات مذهبية وأبعدها عن الاعتراف بحق الاختلاف في الفهم قول القائل: "القرآن الكريم كلام الله منه بدا [...] لعل القارئ قد انتبه إلى ما أضافه هذا التعريف من جديد، يتعلق الأمر أولا بقوله "بلا كيفية قولاً"، والمقصود أن كون القرآن "كلام الله" لا يترتب عليه أن يكون هذا الكلام ذا كيفية ككلام الواحد من البشر [...] وأما العنصر الثاني الذي أضافه هذا التعريف فهو تكفير من قال بخلق القرآن"¹⁶.

والقول بأن القرآن كلام الله، غير مخلوق، بلا كيفية تشابه كلام البشر، هو ما عليه عقيدة جمهور المسلمين، ولا أدري ما الذي أزعج الجابري، فيه، حتى نعتته بالتعريف المذهبي المتعصب؟.

وبعد عرض تلك النماذج السابقة، والتعليق عليها، اطمأن الجابري إلى كونه نجح في إقناع القارئ، بضرورة البحث في تعريف القرآن، وهو القائل: "أعتقد أنه لا ضرورة في الاسترسال بعد الذي ذكرنا، في الإتيان بمزيد من التعريفات كي يقتنع القارئ بأن الكتابة في موضوع "التعريف بالقرآن" أمر مبرر"¹⁷.

والمأمل في التعريفات السابقة، لا يجد فيها ما يضيرها علمياً، ولا يردها من عنده تحفظ مذهبي، وإنما من عنده مشكلة في فهم حقيقة القرآن الكريم.

ثانياً: ملحوظات على التجربة الجابرية في تعريف القرآن الكريم

مما تقدم يمكن تلخيص التجربة الجابرية في تعريف القرآن الكريم، في كونها قامت

على:

◀ استبعاد التعريفات التراثية جميعاً بدعوى قيودها الأيديولوجية، والدعوية، فكلها في نظره ذات حمولة أيديولوجية، هو يسعى -كما قال- إلى: "التعريف به

تجربة محمد عابد الجابري في التعامل مع القرآن الكريم... "دراسة نقدية" د. غنية بوحوش

[القرآن]، للقراء العرب والمسلمين وأيضا للقراء الأجانب تعريفا ينأى به عن التوظيف الإيديولوجي والاستغلال الدعوي الظرفي¹⁸.

« محاولة تعريف القرآن من القرآن الكريم نفسه، قال الجابري: "إذا نحن عدنا إلى الآيات القرآنية الخمس التي أوردنا قبل والتي يعرف القرآن فيها نفسه بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَزَّلْنَا رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿٣٤﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٣٥﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة الشعراء الآيات من 192 إلى 196]¹⁹، واعتبرنا هذا التعريف بمثابة تحديد لما ندعوه هنا بـ "الظاهرة القرآنية"²⁰، [...] ثلاث آيات حددت "ماهية" هذه الظاهرة، فالأمر يتعلق بـ "تنزيل رب العالمين" أي بنص إلهي، ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ أي الملاك جبريل من عند الله، "على قلبك"، يا محمد، ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾. القرآن إذاً: وحي من الله، حملة جبريل، إلى محمد، بلغة العرب، وهو من جنس الوحي الذي في كتب الرسل الأولين"²¹.

ثالثا: القرآن الكريم: -تعريفه وأسمائه، وقصصه، وخصائصه-، عند الجابري -

عرض ونقد-

أ- تعريف القرآن الكريم، عند الجابري

عرّف الجابري القرآن الكريم، بقوله:

"القرآن إذاً: وحي من الله، حملة جبريل، إلى محمد، بلغة العرب، وهو من جنس

الوحي الذي في كتب الرسل الأولين"²².

وفي هذا التعريف إقرار للجابري بربانية مصدر القرآن الكريم، وكونه وحياً من الله

تعالى، وليس تراثاً.

وما يحمد للجابري، أنه أقرّ للقرآن الكريم بالوحيّة، وإخراجه من دائرة التراث،

مجتنباً بذلك مزلقاً خطيراً، وقع فيه غيره، من بعض القراء الحدائين، وزلّت فيه

أقدامهم، ذلك أنهم لم يفرقوا بين القرآن الكريم، وما ينبغي له من التقديس، والتعظيم، لكونه كلام ربّ العالمين، وما كتب عنه أو فيه، من كلام البشر، وراحوا يتفننون في تبرير هذا المسلك غير السويّ، منها، ما جاء على لسان طه حسين: "لا شك أن الباحث الناقد، والمفكر الجريء لا يفرق في نقده بين القرآن وبين أي كتاب أدبي آخر"²³، وأكد الجابري، إقراره بوحية القرآن، بقوله، في موضع آخر: "لقد أكدنا مرارا أننا لا نعتبر القرآن جزء من التراث. وهذا نؤكد هنا من جديد، وفي نفس الوقت نؤكد أيضا ما سبق أن قلناه في مناسبات سابقة من أننا نعتبر جميع أنواع الفهم التي شيدها علماء المسلمين لأنفسهم حول القرآن، وسواء كظاهرة بالمعنى الذي حددناه هنا، أو كأخبار وأوامر ونواه، هي كلها تراث، لأنها تنتمي إلى ما هو بشري"²⁴.

وحرص أيضا محمد عابد الجابري على تأكيد اعترافه بوحية القرآن الكريم، وما ينبغي للمسلم بعدئذ من مظاهر التعظيم والإجلال، تجلّى ذلك في إضافة صفة "الكريم" للقرآن في كتابه التعريف بالقرآن، وصفة "الحكيم" في كتابه التفسير الواضح²⁵.

ب- أسماء القرآن الكريم، عند الجابري: زعم محمد الجابري أن أسماء القرآن الكريم، تطوّرت مع مسار الدعوة الإسلامية، ومع الحجم المنزل من القرآن، فلم يسمّ في أول الأمر، ولم يوصف بأيّ بوصف، بعدها جاء اسم "الذكر" و"الذكرى"، و"الحديث"، وأخيرا "القرآن"، وهو الاسم الذي استقر عليه تسمية الوحي الذي نزل على محمد ﷺ²⁶.

ت- قصص القرآن الكريم، عند الجابري

رأى الجابري أن القصص القرآني، نوع من ضرب الأمثال، سيق للعبارة والعظة، ومن ثمّ فالصدقية التاريخية فيه، محل نظر، وأنكر الحدوث الفعلي لحوار الأنبياء مع أقوامهم، قال في المدخل: "القصص القرآني نوع من ضرب المثل، والمثل لا يضرب

تجربة محمد عابد الجابري في التعامل مع القرآن الكريم... "دراسة نقدية" د. غنية بوحوش

لذاته ولا من أجل ذاته، بل من أجل البيان، من أجل العبرة، من أجل البرهنة على صحة القضية التي يستشهد فيها بالمثل. وهكذا، فكما يضرب القرآن المثل برجلين أو جنتين من دون تحديد، وكما يجري حواراً بين أهل الجنة وأصحاب النار، والقيامة لم تقع بعد... إلخ، فكذلك الشأن في "قصص الأنبياء" التي يذكرها. إنها للذكر أي للموعظة والعبرة. وهكذا فكما أننا لا نسأل عن صحة القصة التي وراء الأمثال التي تضرب لموقف أو حال... إلخ، لأن المقصود بالمثل ليس أشخاصه بل مغزاه، فكذلك القصص القرآني في نظرنا. والصدق في هذا المجال، سواء تعلق الأمر بالمثل أو بالقصة لا يلتبس في مطابقة أو عدم مطابقة شخصيات القصة والمثل للواقع التاريخي، بل الصدق فيه مرجعه خيال المستمع ومعهوده²⁷، ولم يلبث أن ناقض نفسه في الصفحة التالية، فقال: "الهدف من القصص القرآني هو ضرب المثل واستخلاص العبرة فلا معنى لطرح مسألة الحقيقة التاريخية. إن الحقيقة التي يطرحها القصص القرآني هي العبرة، هي الدرس الذي يجب استخلاصه. نعم إن القصص القرآني ليس قصصاً خيالياً بل هو قصص يتحدث عن وقائع "تاريخية" تدخل ضمن معهود العرب"²⁸. وهو في الادعاء لم يكن مجدداً، إذ سبقه إلى هذا الزعم محمد أحمد خلف الله، الذي قدّم أطروحة جامعية، موضوعها في القصص القرآني، ورأى أنها قصص فني، لا صلة له بالواقع التاريخي. ولئن استعاد الجابري دعوى خلف المبطلة²⁹، فقد تغافل عن الدراسات التي أثبتت صدقية القصص القرآني مما يمكن أن يرقى إلى درجة إثبات الإعجاز التاريخي في القرآن، والذي كان من ثماره إسلام بعض العلماء، ومنهم الطبيب الفرنسي "موريس بوكاي"³⁰.

ولم يكتف الجابري بالتشكيك في الصدقية التاريخية للقصص القرآني بل تجاوز إلى الجانب الفني فيه، ودعا إلى مقارنته مع نصوص التوراة والإنجيل، المحرفة، فقال: "أما "الجانب الفني" فيه فهو مظهر آخر لا يدخل في اهتمامنا. وإذا كان لا بد من رأي

في الموضوع فنحن نعتقد أنه من غير الصواب قراءته في ضوء "خصائص أدب القصة" في عصرنا. إن الجانب الفني في قصص القرآن يفرض على كل من يريد الاشتغال به، أن يلتزمه في مقارنتها مع نصوص التوراة، أعني النصوص التي تتطابق، بهذه الدرجة أو تلك، مع قصص القرآن. إن علاقة القرآن بالتوراة والإنجيل علاقة تصديق بصورة عامة. بل يمكن القول إنها في مجال القصص علاقة حكاية. بمعنى أن القرآن يحكي ما ورد في التوراة من أخبار أنبياء بني إسرائيل³¹. إذن هو لا يرى جواز مقارنة القرآن مع نصوص التوراة والإنجيل، المحرفة، بل ويرى أن القصص القرآني هو مجرد حكاية (رواية معادة) لما جاء في نصوص التوراة والإنجيل، المحرفة! وهو وإن اعترف للقرآن الكريم بالتفوق البلاغي على التوراة والإنجيل (المحرفة)، إلا أنه عزا ذلك إلى كون القرآن "مكتوب ومقروء باللغة التي نطق بها نبي الإسلام"، قال: "وإذا كان من الجائز القول إن تفوق القرآن على التوراة والإنجيل في هذا المجال راجع إلى أنه مكتوب ومقروء باللغة التي نطق بها نبي الإسلام، في حين أن كُتِبَ أهل الكتاب تقرأ اليوم مترجمة، والترجمة، و"الترجمة تخون" النص المترجم، في لغته ومعانيه"³²، إذن فهو لا يرى التفوق البلاغي القرآني صفة ذاتية لازمة فيه، بل بسبب الاختلاف في أصالة اللغة التي "كتب وقرئ بها"، ومن ثم فهو لا يرى أن التوراة والإنجيل محرفة، وإنما الاختلاف فيها فقط راجع لكتابتها بلغات غير التي نزلت بها! مخالفاً بذلك ما جاء صريحاً في القرآن الكريم، عن القرآن الكريم، واستحالة مشاكلة تأليفه، - وهو الذي ألزم نفسه بالتعرف إلى القرآن والتعريف به من القرآن نفسه - ، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذِهِ الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [سورة الإسراء الآية 88]، كما تغافل عما جاء عن كتب بني إسرائيل التي حرّفت، قبل نزول القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿ أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ لَمَّا حَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة الآية 75]، وقوله تعالى:

تجربة محمد عابد الجابري في التعامل مع القرآن الكريم... "دراسة نقدية" د. غنية بوحوش

﴿ قَوِيلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُمُونَ آيَاتِنَا بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ أَيْدِيهِمْ بِمَدِينَةٍ قَلِيلًا قَوِيلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [سورة البقرة الآية 79].

ث- خصائص القرآن عند الجابري

من تعريف الجابري للقرآن -السابق-، وما ذكره لاحقاً في كتابه "مدخل إلى القرآن الكريم"، يمكن أن نستخلص خصائص القرآن الكريم، في المنظور الجابري، وهي:

1- القرآن غير محفوظ من النقص، والتغيير، والتحريف

تقدّم أن الجابري يؤمن بوحية القرآن الكريم، لكنه لا يؤمن بسلامته من النقص والتغيير، وهذا الاعتقاد عنده هو الذي انبنى عليه كل موقفه بعدئذ من القرآن الكريم، وقد عدّد أساليب طرح هذه الدعوى الخطيرة، بين تلميح تارة، وتصريح حذر تارة أخرى، ومن الأسلوب الأول:

الزعم بوجود نوعين من القرآن: قرآن منزل وقرآن المصحف، قرآن مطلق وآخر

نسبي

أطلق محمد الجابري دعوى غاية في الخطورة، ولا أدري أوعى ذلك أم لا؟، قصد، أم لم يقصد؟ وهي: وجود نصين قرآنيين، أحدهما: قرآن المصحف، والثاني: قرآن التنزيل!، قال الجابري: "ينبغي التمييز منهجياً بين أمرين النص القرآني كما هو مجموع في المصحف من جهة، والقرآن كما نزل مفرداً، أي حسب ترتيب النزول من جهة أخرى، ومن ثم التعامل مع كل موضوع نظرحه، بشأن القرآن، بحسب طبيعته"³³، إن هذا الإطلاق، وبغض النظر عن مقصده ومبتغاه، لكنه ذريعة إلى التشكيك في القرآن الكريم، الذي أجمعت الأمة على صدق نسبه لله تعالى، من غير تبديل، ولا نقص، ولا زيادة، وقال الجابري، في موضع آخر: "فالسؤال الأول الذي يطرح عملية نقل القرآن، من حالة الوحي الذي كان ينزل به جبريل على قلب النبي، إلى قلوب

الذين كان يقرأه الرسول عليهم، يطرح مسألة الانتقال بالقرآن من مستوى المطلق (= كلام الله)³⁴ إلى المستوى النسبي (= لسان عربي مبين)³⁵ أما السؤال الثاني الذي يطرح مسألة ترتيب الأجزاء التي كانت تنزل في مناسبة ما بالنسبة إلى التي نزلت قبلها، فيطرح ليس فقط علاقة "السابق باللاحق" على المستوى الزمني، زمن النزول، بل يطرح أيضا علاقة الطابع الزمني التاريخي للحدث الذي استوجب نزول جزء من القرآن مع الطابع اللازمي لهذا الجزء نفسه [...] وبالتالي فمشكلة العلاقة بين المطلق والنسبي ستظل تلاحقنا!³⁶

وفضلا عن النزعة التشكيكية لهذا الادعاء للجابري، ، ففيه قول بخلق القرآن بصيغة مغايرة، وقول بالإشارة، بتاريخية القرآن الكريم.

ومن الأسلوب الثاني: أسلوب التصريح، قوله: "ليس ثمة أدلة قاطعة على حدوث زيادة أو نقصان في القرآن كما هو في المصحف بين أيدي الناس، منذ جمعه عثمان. أما قبل ذلك فالقرآن كان مفرقا في "صحف" وفي صدور الصحابة. ومن المؤكد أن ما كان يتوفر عليه هذا الصحابي أو ذاك من القرآن -مكتوبا أو محفوظا- كان يختلف عما كان عند غيره، كما وترتبا. ومن الجائز أن تحدث أخطاء حين جمعه، زمن عثمان أو قبل ذلك، فالذين تولوا هذه المهمة لم يكونوا معصومين، وقد وقع تدارك بعض النقص كما ذكر في مصادرنا. وهذا لا يتعارض مع قوله تعالى: ، فالقرآن نفسه ينص على إمكانية النسيان والتبديل والحذف والنسخ. قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١﴾ ﴾ [سورة الحجر الآية 9]، فالقرآن نفسه ينص على إمكانية النسيان والتبديل والحذف والنسخ. قال تعالى مخاطبا رسوله الكريم: ﴿ سُبْحَانَكَ فَلَا تَنسَخُ ﴿١﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ [سورة الأعلى الآية 6 وجزء من الآية 7]، وقال: ﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزِيلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [سورة النحل من الآية 101]³⁷، وقال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىَ الشَّيْطَانُ فِيْ أَمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [سورة البقرة الآية 21]

تجربة محمد عابد الجابري في التعامل مع القرآن الكريم... "دراسة نقدية" د. غنية بوحوش

وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ [سورة الحج الآية 52]، وقال: ﴿ مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦﴾ [سورة البقرة الآية 106]، وقال: ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [سورة الرعد جزء من الآية 38 والآية 39]. ومع أن لنا رأياً خاصاً في معنى "الآية" في بعض هذه الآيات، فإن جملتها تؤكد حصول التغير في القرآن وإن ذلك حدث بعلم الله ومشيتته³⁸.

وهكذا يقطع الجابري بوجود النقص في القرآن، وبشهادة القرآن! مستشهداً ببعض الآيات السابقة، ومؤولاً بعضها الآخر، وقد ساق قبل ذلك بعض المرويات عن السنة والشيعية³⁹، مُغفلاً الآيات الكريمة الدالة صراحة على حفظ الله التام للقرآن، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَافِظُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [سورة الحجر الآية 9]، وقوله تعالى: ﴿ نَزَّلْنَا مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنا بَعْضُ الْأَقْوَابِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [سورة الحاقة الآيات من 43 إلى 46]، ﴿ لَا تَحْرِكْ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١١﴾ إِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُمْ وَقُرْآنُهُ ﴿١٢﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانصَبْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا بَيَانُهُ ﴿١٩﴾ ﴾ [سورة القيامة الآيات من 16 إلى 19]، وهذه الآيات الكريمة تدل صراحة على تكفل الله تعالى بحفظ القرآن حفظاً تاماً: لفظاً ومعنى، قراءة وجمعاً وبياناً، كما أغفل الجابري أو تغافل عن الروايات السننية⁴⁰، والشيعية⁴¹ التي تثبت سلامة القرآن من التغير والتبديل أي كان نوعه⁴².

2- القرآن كلام الله تعالى معنى، لا لفظاً

أظهر الجابري اضطراباً واضحاً في إدراك حقيقة الأحرف السبعة والقراءات القرآنية، والعلاقة بينهما، أفضى به إلى القول بأن القرآن كلام الله تعالى معنى، دون اللفظ، فهو يرى أن الأحرف شيء والقراءات شيء آخر⁴³، في حين تعود القراءات القرآنية جميعاً باختلاف أوجهها، إلى الأحرف السبعة المنزلة، المذكورة في أحاديث صحيحة متعددة، وهو بذلك يحاول نفي وحيتها، وعزوها للاختلاف اللهجي بين القبائل، وقراءة كل قبيلة القرآن بما يتفق ولهجتها، وأقام هذه الدعوى على مجرد

التخمين، في حين لم يتردد في التشكيك في صحيح الأحاديث التي تنص على وحيية الأحرف والقراءات القرآنية، بدعوى كونها أحاديث آحاد⁴⁴، كما ادّعى أن الأحرف تعود إلى زمن النبوة، والقراءات تعود للجمع العثماني⁴⁵، كما زعم أن الأحرف السبعة هي القراءات السبع، وعزا هذا الرأي للخليل (ت170هـ)، وهذا بعيد جدا، فالقراءات السبع جمعها ابن مجاهد (ت324هـ)، بعد وفاة الخليل بعشرات العقود، فضلا على كون القول بأن الأحرف السبعة هي ذاتها القراءات السبع، غلط، وجهل عظيم، كما قال مكّي بن أبي طالب: "هذه القراءات التي يقرأ بها اليوم وصحت رواياتها عن الأئمة جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ثم ساق نحو ما تقدم قال وأما من ظن أن قراءة هؤلاء القراء كنافع وعاصم هي الأحرف السبعة التي في الحديث فقد غلط غلطا عظيما"⁴⁶، وقال أبو شامة: "ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الحديث وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل"⁴⁷.

3- القرآن غير معجز: يرى الجابري أن إعجاز القرآن محصور في جانبه اللفظي، وهو معجز للعرب زمن التنزيل خاصة، وأما أوجه إعجازه المتعددة، وللناس كافة، فلا تعود لكونها متحققة في ذات القرآن الكريم فعلا، وإنما هي دعاوى علماء المسلمين، بدافع الانتصار للقرآن الكريم في وجه غير العرب، وأصحاب الديانات الأخرى، قال: "ولكن عندما اتسعت رقعة الإسلام وأصبحت تضم أقواما من غير العرب صار من الضروري طرح قضية الإعجاز القرآني بالصورة التي يمكن أن يواجه بها غير العرب، خصوصا أصحاب الديانات المناهضة للإسلام كالمناوية. ومن هنا وسع علماء المسلمين مضمون الإعجاز القرآني ليشمل معانيه. وهكذا أصبح المسلمون ينظرون إلى القرآن على أنه معجز ليس بلفظه فقط بل بمعانيه أيضا، مستندين في ذلك إلى ما ورد فيه من الإخبار بالغيب، ومن أخبار الأقوام الماضية التي لم تذكر في الكتب السماوية السابقة"⁴⁸.

تجربة محمد عابد الجابري في التعامل مع القرآن الكريم... "دراسة نقدية" د. غنية بوحوش

وتهافت هذه الدعوى الجابرية غير خاف، فالله تعالى إذ تحدى العرب على الإتيان بمثل القرآن، لم يتحدّهم على الإتيان بمثله من جانب اللفظ فحسب وإنما من جانب المعنى أيضاً، وإنما تؤلف الألفاظ من أجل المعاني، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، الله أثبت عجز الإنسانية جمعاء، ومعهم الجن، وليس العرب فقط، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ [سورة الإسراء الآية 88]، وهل يضر علماء المسلمين أن أثبتوا للقرآن أوجه إعجاز متعددة استناداً لأخبار الغيب، وأخبار أقوام لم ترد في غيره من الكتب، أو ليس هذا فعلاً دليل الإعجاز فيه؟ ثم ما الذي يضر الجابري أن يكون القرآن الكريم معجزاً للناس كافة، وبأوجه متعددة؟

4- القرآن غير مهيمن على الكتب السماوية السابقة

لئن ادّعى محمد الجابري استبعاد التعريفات التراثية للقرآن الكريم بدعوى عدم خلوصها إيديولوجياً، فقد وقع هو نفسه في شرك الإيديولوجية، لما نفى عن القرآن صفة الهيمنة⁴⁹، ونفى إضافة الجديد إلى ما سبق من الكتب، قال الجابري: "القرآن إذاً: وحي من الله، حمله جبريل، إلى محمد، بلغة العرب، وهو من جنس الوحي الذي في كتب الرسل الأولين. إن هذا يعني أنه من جهة ليس جديداً كل الجدة، بل استمرار للخطاب الإلهي إلى البشر"⁵⁰. وفي موضع لاحق صرح الجابري أن لا فرق تماماً بين القرآن والتوراة والإنجيل، إلا من جانب اللسان، فقال: "لا يتميز القرآن عن حقيقة التوراة والإنجيل لا بمصدره ولا بمحتواه، وإنما يتميز بكونه نزل بلسان عربي مبين"⁵¹، والعجب كل العجب، أن لا يجد الجابري فرقاً بين القرآن والتوراة والإنجيل، فإن كان يقصد بالتوراة والإنجيل الأصليين (قبل التحريف)، فهما مفقودان، فأنى للجابري، أو لغيره أن يجري مقارنة صحيحة؟، وعلى الرغم من ذلك، فثمة فروق بينها وبين القرآن في جانب الشريعة، وإن كان يقصد التوراة والإنجيل

المتداولة اليوم، فالفرق بينهما وبين القرآن عظيم لا من جانب المحتوى فحسب، بل من جانب المصدر، فالقرآن وحي الله المحفوظ، وأما التوراة والإنجيل المتداولة اليوم، فكلام بشري، ركيك الأسلوب، مختل المعاني، فكيف تستقيم المقارنة بينها، وبين القرآن الكريم، المحفوظ، لفظاً، الكامل شريعة⁵².

5- غير صالح لكل زمان ومكان: بدعوى انحصار العلوم التي جاء بها القرآن في

المجال الثقافي العربي، وقد تقدم بيان ذلك، وهذه الدعوى، هي ذاتها القول بتاريخية القرآن، التي أطلقها محمد أركون⁵³، ولكن بصيغة مختلفة.

والخلاصة: أن الجابري يرى أن القرآن الكريم، كلام الله تعالى معنى دون اللفظ، نزل به جبريل عليه السلام، على رسول الله محمد ﷺ، بلسان عربيّ (لهجة قريش)، غير متجاوز المجال الثقافي والمعرفي العربي، وأيضاً غير متجاوز الحاجة العربية في التشريع، غير جديد في الجانب العقدي والأخلاقي، غير معجز، غير محفوظ من النقص والتغيير. وأسجل هنا أن هذه الرؤية أظهرت تناقضاً في المنهج الجابري في التعامل مع القرآن تعريفاً، فإن كان اتجه في التعريف بالقرآن، إلى القرآن نفسه، فلم لم يتجه إلى القرآن أيضاً لأخذ خصائصه التنزيهية، من مثل: الحفظ، والإعجاز، والهيمنة؟ وهذه الرؤية حكمت كيفية فهمه للقرآن الكريم، ومن ثمّ كيفية تفسيره، وهذا ما سأبيّنه في المطلب الآتي.

المطلب الثاني

تجربة الجابري في تفسير القرآن: عرض ونقد

أولاً: دوافع الجابري في التأليف في تفسير القرآن الكريم:

كما لم يجد الجابري، في تراث علوم القرآن، الكبير، تعريفاً للقرآن يقنعه، كذلك لم يجد في التراث التفسيري الضخم، -باعتزافه-، ما يعينه على فهم القرآن، قال الجابري:

تجربة محمد عابد الجابري في التعامل مع القرآن الكريم... "دراسة نقدية" د. غنية بوحوش

"لقد كانت النية متجهة إلى كتابة جزء ثانٍ في فهم القرآن على غرار التعريف بالقرآن. وكما تطلب مني "التعريف" الرجوع إلى جميع ما أمكنني الحصول عليه من المؤلفات السابقة في الموضوع، ومعظمها تقع تحت الاسم الجامع "علوم القرآن"، فقد كان عليّ هنا الرجوع إلى جميع ما أمكنني الحصول عليه من المؤلفات السابقة التي لها علاقة بـ "فهم القرآن"، ويقع جلها تحت عنوان "التفسير". والتفاسير كثيرة جداً [...] خرجت من مصاحبة جميع التفاسير المتوفرة، ككتب على الورق أو كنصوص على الإنترنت، بنتيجة عامة وهامة: وهي أن كتابة الجزء الثاني الذي وعدت به في التعريف بالقرآن، ليكون موضوعه "فهم القرآن"، لن يرقى إلى مستوى الرؤى والآفاق التي طرحها هذا الأخير، ما لم يتجاوز مجرد الاختصار على جملة موضوعات في القرآن، إلى فهم للقرآن ككل، إلى تفسير" 54.

وخرج تفسيره في ثلاثة أجزاء، بعنوان: "فهم القرآن الحكيم: التفسير الواضح حسب ترتيب النزول".

وفي الآتي بيان للمرتكزات التي قام عليها، كل من فهم وتفسير الجابري للقرآن الكريم.

ثانياً: مرتكزات فهم الجابري للقرآن الكريم

يسبق عملية التفسير، الفهم، وللجابري طريقته الخاصة في فهم القرآن الكريم، قامت على:

أ- استبعاد كل التراث التفسيري (مبدأ الفصل والوصل - حسب الاصطلاح الجابري):

سبق أن سار الجابري في البحث عن تعريف للقرآن على استبعاد كل التعريفات التراثية، بدعوى حملتها المذهبية، والإيديولوجية، وكذلك فعل في محاولته فهم

وتفسير القرآن، وللمبرر نفسه، وهو يرى أن التراث التفسيري، فضلا عن حمولته الإيديولوجية والمذهبية، "لا يسمن ولا يعني من جوع" [سورة]⁵⁵

-كذا وصفه الجابري مستشهدا بالآية الكريمة-، وقال الجابري مجيبا عن سؤال صدر به تفسيره "كيف نفهم القرآن؟": "فهم القرآن" مهمة مطروحة في كل وقت ومطلوبة في كل زمان. وقد يكفي التذكير بأن اقتناعنا بأن القرآن يخاطب أهل كل زمان ومكان لفرض علينا اكتساب فهم متجدد للقرآن بتجدد الأحوال في كل عصر [...]. لقد كنا نطمح إلى أن نوضح كيف أن "فهم القرآن" ليس مجرد نظر في نص ملئت هوامشه وحواشيه بما لا يحصى من التفسيرات والتأويلات بل هو أيضا "فصل" هذا النص عن تلك الهوامش والحواشي، ليس من أجل الإلقاء بها في سلة المهملات، بل من أجل ربطها بزمانها ومكانها، كي يتأتى لنا "الوصل" بيننا، نحن في عصرنا، وبين "النص" نفسه كما هو في أصالته الدائمة [...] المقصود بالأصالة هنا، على صعيد الفهم، هو هذا النص مجردا عن أنواع الفهم له، التي دونت في كتب التفسير باختلاف أنواعها واتجاهاتها. إن الأمر يتعلق هنا أساسا بعزل المضامين الإيديولوجية لتلك الأنواع من الفهم"⁵⁶.

إذن يريد الجابري أن يفهم القرآن الكريم وفق معطيات عصره، وهذا الفهم لن يتحقق له إلا باستبعاد كل الفهوم السابقة، ولم أعلم من المسلمين من خالف في ضرورة فهم القرآن وفق معطيات العصر⁵⁷، لكن هذا لا يتعارض بالضرورة مع الفهوم السالفة، إذ قد يتوفر للمتأخرين ما يُجلب لهم معاني بعض الآيات الكريمة التي، إما أن تلغي فيها سابقا، أو تبقيه، مع الإضافة إليه.

ب- فهم القرآن الكريم وفق معهود العرب

ألزم الجابري نفسه في فهم القرآن الكريم وفق معهود العرب في لسانهم، قال الجابري: "فالظاهرة القرآنية، وإن كانت في جوهرها تجربة روحية، نبوة ورسالة، فهي

تجربة محمد عابد الجابري في التعامل مع القرآن الكريم... "دراسة نقدية" د. غنية بوحوش

في انتماؤها اللغوي والاجتماعي والثقافي ظاهرة عربية، وبالتالي يجب أن لا نتظر منها أن تخرج تماما عن فضاء اللغة العربية، لا على مستوى الإرسال ولا على مستوى التلقي. لقد اشترط كثير من علماء الإسلام -عن حق- في من يريد دراسة القرآن أن يكون عارفا بلغة العرب، معرفة أهلها بها، وأن يحصر فهمه له ضمن "معهود العرب"، أي ما يشكل قوام حياتهم الروحية والفكرية والاجتماعية إلخ [...] وإذا نحن انطلقنا في فهمنا للظاهرة من هذا المنطلق، أعني من اعتبار خصوصيات لغة العرب ومعطيات معهودهم أمكننا التغلب على كثير من الشكوك التي قد تثار في وجه صدق الروايات التي تتحدث عن هذه الظاهرة، حتى عندما يتعلق الأمر بأدق لحظاتها، أعني لحظة البداية⁵⁸.

وهو مبدأ في الفهم، سليم، ذكره العلماء، وجعلوه من الأدوات الضرورية في فهم القرآن الكريم، وتفسيره، -وليس لحصر علومه-، غير أن الجابري، أخذ به على غير وجهه، متؤلا بعض كلام العلماء، منهم الشاطبي، قال الجابري: "وما يريد الشاطبي^[59] أن يخرج به من تأكيد أمية العرب وأمية الشريعة، هو أنه لا بد من التقيد في فهم الشريعة وتفسير القرآن بمستوى تلك الأمية من جهة، والتزام معهودهم في أساليب التعبير من جهة أخرى. فهكذا لا يجوز أن نبحث في القرآن عن علوم ومعارف أعلى من مستوى الأمية التي كان عليها العرب"⁶⁰.

وَوَجْهٌ ضرورة مراعاة معهود العرب، هو مراعاة خصائص اللسان العربي، ومنها بلاغته، وكونه حمال أوجه، فالكلمة الواحدة، ذات معان متعددة، ما جعل هذا اللسان صالحا لنزول الوحي الخالد به، وما جعله صالحا لمخاطبة العرب زمن التنزيل، وفق معهودهم، ومخاطبة الإنسانية كافة -بمختلف ألوانها، ومستوياتها العلمية وغيرها-، إلى قيام الساعة؟ وهنا تظهر خصوصية اللغة العربية، -التي لم يرها الجابري، وأنكرها⁶¹-، العربية التي اتسعت لمعاني القرآن الكريم، ذلك: "أن معانيه مصوغة

بحيث يصلح أن يخاطب بها الناس كلهم على اختلاف مداركهم وثقافتهم وعلى تباعد أزمنتهم وبلدانهم، ومع تطور علومهم واكتشافاتهم... ولسنا نقصد أن الآية تحتمل بذلك وجهين متناقضين أو فهمين متعارضين، بل هو معنى واحد على كل حال، ولكن له سطحا وعمقا وجذورا يتضمنها جميعا أسلوب الآية، فالعامي من الناس يفهم منه السطح القريب، والمثقف يفهم مدى معينا من عمقه أيضا والباحث المتخصص يفهم منها جذور المعنى كله⁶²، ويبدو أن مشكلة الجابري، ليست معه التراث الإسلامي، فحسب بل مع اللغة العربية أيضا.

ت - ضبط الفهم وفق ترتيب النزول

ألزم أيضا، الجابري نفسه في فهم القرآن الكريم، بتتبع ترتيب النزول، فقال -تكملة لكلامه السابق، المبرر التأليف في التفسير-: "لقد عمق هذا الشعور في نفسي "كلام" وجيز ولكنه عميق جدا، قرأته للشاطبي في الموافقات [...] قال: "المدني من السور ينبغي أن يكون منزلا في الفهم على المكّي، وكذلك المكّي بعضه مع بعض، والمدني بعضه مع بعض، على حسب ترتيبه في التنزيل وإلا لم يصح"⁶³، (والضمير يعود على "الفهم" في قوله: منزلا في الفهم). ومع أني أكدت في التعريف بالقرآن على ضرورة الاهتمام بترتيب النزول، إلا أن ما سمعته من الشاطبي هذه المرة، وهو يتكلم عن "الكتاب"، قد ولد في شعورا عميقا بأن فهم "فهم القرآن" يعني فهم "الكتاب"⁶⁴.

وقد حاول الجابري أن يتكئ على كلام الشاطبي لتأكيد أهمية مراعاة ترتيب النزول، في فهم القرآن الكريم، الذي اختار له اسم "الكتاب"، وكأن ثمة فرق بينهما!!!، وما يفهم من كلام الشاطبي، هو أهمية الاستعانة بترتيب النزول في الفهم، وليس بالضرورة جعله منهجا. لا يلزم منه بالضرورة، ويلحظ هنا التناقض الجابري في التعامل مع التراث، فالجابري الذي استمات في الاستخفاف بالتراث والتزهيد فيه، والجابري الذي لم يجد في التراث تعريفا للقرآن يقنعه، ولم يجد تفسيراً يشفي غليله، هو

تجربة محمد عابد الجابري في التعامل مع القرآن الكريم... "دراسة نقدية" د. غنية بوحوش

نفسه الجابري الذي يوظف التراث لتبرير رؤاه، ومنه فهذا النوع من التوظيف لا يخلو من الإيديولوجية، والمذهبية، التي ما فتى الجابري يدعي رفضها.

ثالثاً: منهج الجابري في تفسير القرآن الكريم:

أتبع الجابري في تفسيره للقرآن الكريم، المنهج الآتي:

أ- اتباع ترتيب السور القرآنية الكريمة حسب نزولها؛ وليس حسب ترتيبها في

المصحف:

جرت عادة المفسرين - باختلاف مناهجهم -، على تفسير القرآن الكريم وفق ترتيب المصحف، إلا ما شذّ وندر منهم⁶⁵، ممن أتبع ترتيب النزول، والجابري إذ اختار هذا المسلك، فلم يكن مجدداً، بل كان متبعاً، ليس في المنهج فحسب، بل وحتّى في بيان دوافع هذا المسلك، إذ هي ذاتها التي ساقها دروزة⁶⁶، الذي نفى عنه الجابري، التجديد⁶⁷.

ث - اعتماد ما سباه ب: "علامات الإفهام"

زعم الجابري أن فهم القرآن متلو، لا يحتاج إلا إلى مقرئ يجيد التلاوة، في حين لا بد لفهم القرآن المكتوب من معرفة ترتيب نزول الزماني، والاستعانة بعلامات الفهم والإفهام⁶⁸، وهي ذاتها علامات الترقيم المستحدثة في الكتابة الحديثة.

ج - تناول السور الكريمة، بالتفسير، وفق الخطوات الآتية⁶⁹:

✓ قسم الجابري مادته التفسيرية - كما سباهها -، إلى ثلاثة أقسام:

◀ تقديم: يعرض فيه أسباب النزول.

◀ هوامش: يقدم فيه شروحا إضافية.

◀ تعليق: وفيه خلاصة عن أهم القضايا التي تعرضت لها السورة الكريمة.

وخرجت مادته، في ثلاثة أجزاء، هي⁷⁰:

الجزء الأول، والثاني: جعلها للقرآن المكي، والجزء الثالث، للقرآن المدني. ويمكن مناقشة التجربة الجابرية في التعامل مع القرآن تفسيراً من خلال الملحوظات الآتية:

أولاً: يؤخذ على تفسير القرآن الكريم وفق ترتيب النزول، الآتي:

« كونه استدراكاً على الله تعالى، على القول بتوقيفية الترتيب، وهو الأرجح⁷¹، وفيه مخالفة لما جرى عليه العمل عند جمهور الأمة، على فرض عدم التوقيفية.

« الغايات التي ترجى من تفسير القرآن الكريم وفق ترتيب النزول يمكن تحقيقها بالدراسات الموضوعية، بدراسة بعض الموضوعات، وكذا يعمل به في بعض المسائل الفقهية⁷².

« عدم وجود ترتيب سور القرآن وفق النزول، متفق عليه، وثابت بأدلة يقينية، وهذا كفيل بنسف هذا المنهج من أساسه.

ثانياً: العدول في تفسير القرآن الكريم، عن ترتيب المصحف إلى ترتيب النزول، ليس جديداً جابرياً -منهجاً ومقصداً-، فقد سبق إليه بعض المستشرقين، ومن عدل عنه كالمستشرق الفرنسي ريجيس بلاشير، وسبق إليه بعض المسلمين، إما باعتماده في كل تفسير القرآن، أو في بيان بعض موضوعاته.

ثالثاً: ما أسماه بعلامات الإفهام، لا جديد فيها من حيث الإيجاد، أما من جانب التوظيف، فيؤخذ عليها، أمران:

الأول: أنها لا يعول عليها كثيراً في الإفهام، وهناك ما هو أفضل منها، وهو باب الوقف والابتداء، وعلامات الضبط الدالة عليه.

الثاني: جرأة على النص القرآني، بإضافة إليه ما ليس منه وإن كان موضوعاً بين قوسين، وتتجلى الجرأة على النص القرآني في تسويته بكلامه ووضعها في المقام نفسه.

تجربة محمد عابد الجابري في التعامل مع القرآن الكريم... "دراسة نقدية" د. غنية بوحوش

رابعاً: اتسمت المادة التفسيرية الجابرية، بـ:

- ◀ بساطة الأسلوب.
- ◀ غياب الجديد المفيد.
- ◀ التشكيك في الثوابت، والقضايا المتجاوزة في الدرس القرآني والإسلامي، من مثل:

- ✓ إنكار عصمة الأنبياء والرسل، ومنهم رسول الله تعالى، الخاتم⁷³.
- ✓ تقديم صورة مشوهة عن رسول ﷺ، وعن صحابته الكرام، بوصفهم، بدعاة الحرب، وقطاع الطرق، وطلاب الغنائم⁷⁴.
- ✓ إنكار معجزة الإسراء والمعراج⁷⁵.
- ✓ ادعاء التناقض بين العبادات والعقل، مستصحبا المنظور الغربي الكنسي للشعائر التعبدية⁷⁶.

وعلى الرغم من بساطة ما جاء به الجابري، بالنظر إلى ما بشر به، وبالنظر إلى الاستخفاف بالتراث التفسيري، غير أنه كان في نظر الجابري مرضياً، جالبا للإحساس بالتوفيق⁷⁷، وهو هنا يكشف عن غايته من هذه التجربة، وأنها ليست اسكتشافية، بل تشكيكية، وفي أحسن الحالات اختبارية⁷⁸.

خاتمة

انتهى المقال إلى النتائج الآتية:

أولاً: لمحمد الجابري اطلاع واسع على التراث العربي الإسلامي، إلا أن ذلك لم يجنبه الوقوع في زلات خطيرة؛ بعضها في حق القرآن الكريم، وبعضها الآخر في حق الأنبياء والرسل... ذلك أن الاستفادة من التراث تتطلب روحاً خاصة في تلقيه، والتعامل معه، وطبيعة معينة في النظر إليه، نظرة متزنة، تبتعد كلياً عن التقديس،

وتنأى تماما عن الازدراء، نظرة تقدير: لا تقديس ولا احتقار، ولئن استهات الجابري في التزهيد في التراث، فقد وظفه في التأسيس لرؤيته التشكيكية، في القرآن.

ثانيا: عرف موقف الجابري من القرآن، شيئا سيرا، من الضبابية: فهل يعدّه حقا وحيّا واجب التقديس والاتباع؟، أم أنه يعدّه تراثا إنسانيا؟، ومنجزا بشريا؟، وما تصرّحاته المقدّسة للقرآن، وما وصفه إياه بـ: "الكريم"، و"الحكيم"، سوى مسلكا احترازيا!!!، أو تبعا لما عليه اليهود والنصارى من وصف كتبهم بـ: "المقدس"، دون أن يكون لهم حظ فعلي من تقديسها؟، ولعله يرى أن هناك قرآنا وحيّا منزلا اندثر، وقرآنا مغيرا، هو المتداول بيننا؟، أم أنه يرى أن القرآن الذي بيننا اليوم هو ذاته القرآن الذي نزل على محمد ﷺ، مع شيء من النقصان، أو التحريف، لكنه، أفاد الإنسانية زمن نزوله، فحسب، وعلى البشرية اليوم أن تبحث لنفسها عن أسباب الهداية، وهو بذلك لم يختلف عن محمد أركون وآخرين، غير أنه كان أكثر مراوغة، وأشد غموضا.

ثالثا: إن إيمان الجابري بوحية القرآن الكريم، ثم إنكاره حفظه، وإعجازه، وتواتره، وهيمته، إيمان لا يختلف كثيرا عن الكفر، وما ادّعا في حقّ القرآن، من جواز النقص والتغيير، يفضي إلى التشكيك به وحيّا إلهيا محفوظا، وما ادّعا في العلوم التي جاء بها القرآن، وأنها لم تتجاوز، -ولا يمكنها أن تتجاوز (حسب زعمه)-، المجال الثقافي العربي، قول بتاريخية القرآن، وهو المشروع نفسه لمحمد أركون، ومن قبلها فكرة المدرسة الاستشراقية، لكن بصيغة جديدة، لكنها غير خافية.

رابعا: أغرى محمد الجابري الناس بتجاوز التراث، من أجل قراءة معاصرة (مفيدة) للقرآن الكريم، غير أنه أعرض عن بعض التراث، واستأسر (وقع أسيرا) لبعضه الآخر، وهو لم يقدم جديدا مفيدا، لا في تعريف القرآن، ولا في تفسيره، لا في المحتوى، ولا في المصطلحات، ولا في المنهج، ولا حتى في عنوان كتابه: "مدخل إلى

تجربة محمد عابد الجابري في التعامل مع القرآن الكريم... "دراسة نقدية" د. غنية بوحوش

القرآن".

خامسا: فضلا عن عدم إتيانه بالجديد المفيد؛ الذي وعد به، اكتفى محمد الجابري باسترجاع أسئلة غيره، وجمع غريب الأقوال والشبهات المثارة حول القرآن الكريم، المنشورة في التراث الإسلامي، وفي مؤلفات المستشرقين.

سادسا: تجربة الجابري في التعامل مع القرآن؛ تجربة حذرة، مراوغة، مأكرة، حاولت الظهور بمظهر المقدس للقرآن الكريم، لكنها تبنت الرؤية الاستشراقية، منهجا، ومقصدا، ومنطلقا، ومصطلحا، إذ لم تكن التجربة الجابرية في التعامل مع القرآن الكريم تعريفا وفهما وتفسيرا تجربة ذاتية، باحثة عن الحقيقة العلمية، وإنما كانت امتدادا للمشروع الاستشراقي، ذي الخلفية القائمة، والأحكام المسبقة غير العادلة في القرآن الكريم، ونبي الهدى محمد ﷺ.

سابعا: لم يكن محمد عابد الجابري مهياً تماماً للحديث في القرآن الكريم، وكان ذلك منه مغامرة ومجازفة، استجابت لمقترح أحد أصدقائه في السعودية⁷⁹، أظنه لم يحسب عواقبها، وكان حرّيا به، أن يكتفي في البحث والتأليف في الفلسفة - ميدان تخصصه -.

ثامنا: تأكيد كون القرآن الكريم متاحا ومفتوحا، للقراءة، والتدبر، ولذلك أنزل، قال الله تعالى: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ بِتِلْكَ مُبْرَكًا لِيَذَّبُوا عَنْ تَبَتُّهُمْ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة صر الآية 29]، لكن لا بد من امتلاك الأدوات اللازمة، لذلك.

تاسعا: القول بضرورة امتلاك أدوات، وآليات القراءة والتحليل والتفسير، ليس حَجْرًا على العقل، وإنما تذكير بالتسلح بمستلزماتها ومتطلباتها (القراءة)، حمايةً له (العقل) من التخبط، والتهيه، والضلال والإضلال، من دونها.

عاشرا: لا بد لمن يتصدى لتحليل القرآن الكريم، من امتلاك الأدوات اللازمة،

وإلا فعليه الاقتصار على الخطابات البشرية، وهي متوفرة، متاحة، والمسلمون ليسوا قُصراً لتركوا قرآنهم العظيم لغيرهم، يقرؤونه، ثم يفسرونه بما يوافق أهواءهم .

حادي عشر: أية محاولة لفهم وتفسير القرآن الكريم، مع تجاهل وتجاوز التراث التفسيري، تجاهلا تاما، محكوم عليها بالفشل، إذ أنها تفترض أنها قادرة على كشف معانٍ، لم تنكشف لمن سبق، والحقيقة أن عجائب القرآن لا تنقطع، وحركة التجديد التفسيري ليس مطلوبا منها، إلغاء الفهوم والتفاسير السابقة بالضرورة، إذ من الممكن جدا الاحتفاظ بها ساغ من فهوم وتفسير الأقدمين، وإضافة فهوم وتفسيرات جديدة أسهمت أدوات العصر في كشفها وبيانها.

ثاني عشر: إن الغايات المبتغاة من تفسير القرآن الكريم؛ وفق ترتيب النزول يمكن تحقيقها بالدراسات القرآنية الموضوعية (التي تتناول موضوعات مستقلة من القرآن الكريم)، وأما تفسير القرآن الكريم كاملا فينبغي فيه اتباع ترتيب المصحف، وبهذا يمكن الجمع بين المنهجين، وتحقيق المنافع، وتجنب الانزلاقات والمحاذير.

ثالث عشر: تأكيد أن تناول القرآن الكريم، بالتفسير، وفق مرويات النزول، عند كثير من المتسوّرين والدخلاء على الدرس القرآني، لم يكن أبدا بدافع الاقتراب من فهمه وتفهمه، وإنما بقصد الحكم عليه بالتاريخية، والأنسنة، وعدم صلاحيته لكل زمان ومكان، وهو ما يمكن تسميته بالتوظيف العلماني لأسباب النزول.

رابع عشر: من أساء أو عجز عن الفهم الصحيح للقرآن الكريم، بسبب قصور في اللغة، أو بؤن في التخصص العلمي، أو اختلاف في الثقافة، والفكر، والمعتقد، أتى له تحليل خطابه أو تفسيره؟، وهذه حالة تسوّر علمي ممنوعة.

ويدعو المقال الباحثين، إلى المزيد من الدراسات التي تكشف زيوف ادعاء التجديد، والتنوير، والتحديث، بما يحقق للأمة نتاجا معرفيا أصيلا، ويكفل لها الحصانة الفكرية.

تجربة محمد عابد الجابري في التعامل مع القرآن الكريم... "دراسة نقدية" د. غنية بوحوش

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي، برواية حفص عن عاصم وبالعد الكوفي، وعدد الآيات على طريقته: 6236 آية.

ثانياً: الكتب

- 1- الاتجاه العلماني في علوم القرآن الكريم، الجابري أنموذجاً، سامي عطا حسن، بحث بصيغة وورد، أضيف للمكتبة الشاملة بتاريخ 2012.
- 2- الإلتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة سنة 1394هـ / 1974م.
- 3- الأخطاء التاريخية والمنهجية في مؤلفات محمد أركون، ومحمد عابد الجابري، دراسة نقدية تحليلية هادفة، خالد كبير علال، دار المحتسب، ط 1، سنة 2008.
- 4- بنية العقل العربي، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، ط 9، سنة 2009.
- 5- رد افتراءات الجابري على القرآن الكريم، محمد عمارة، دار السلام، القاهرة، سنة 2010.
- 6- الشبه الاستشراقية في كتاب مدخل إلى القرآن الكريم للدكتور محمد عابد الجابري رؤية نقدية، عبد السلام البكاري، الصديق بوعلام، دار الأمان، الرباط-المغرب، ط 1، سنة 2009.
- 7- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، 1379.
- 8- الفكر الإسلامي قراءة علمية، محمد أركون، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنهاء القومي، بيروت، ط 2، سنة 1996م.
- 9- الفكر الأصولي واستحالة التأصيل نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي، محمد أركون، ترجمة وتعليق هاشم صالح، دار الساقى بيروت، لبنان، ط 1، سنة 1999م.
- 10- فهم القرآن الكريم: التفسير الواضح حسب ترتيب النزول، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، ط 2، سنة 2009.
- 11- مدخل إلى القرآن الكريم، الجزء الأول في التعريف بالقرآن، محمد عابد الجابري، مركز

- دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 2، سنة 2007.
- 12- من روائع القرآن، محمد سعيد رمضان البوطي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط 3 سنة 1420هـ / 1999م.
- 13- الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد، الشاطبي، تح أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط 1، سنة 1417هـ / 1997م.
- 14- نافذة على الإسلام، محمد أركون، ترجمة صياح الجهيم، دار عطية بيروت، لبنان، ط 1 سنة 1996م.
- 15- نقض مطاعن في القرآن الكريم، محمد أحمد عرفة، وكيل كلية الشريعة الإسلامية، وقف على تصحيحه وعلق عليه بعض الحواشي، السيد محمد رشيد رضا، صاحب المنار، مكتبة الزهراء، 9 ش عبد العزيز عابدين، القاهرة، طبعة ثانية 1986م.

ثالثا: أعمال المؤتمرات

- منهج التعامل مع النص القرآني حسب ترتيب النزول، قراءة في كتاب الجابري "فهم القرآن الحكيم"، سليمان محمد الدفور، مؤتمر التعامل مع النصوص الشرعية (الكتاب والسنة)، كلية الشريعة - الجامعة الأردنية، عمان - الأردن، سنة 2008.
- مدخل إلى القرآن الكريم: استكشاف أم تشكيك؟، قراءة في كتاب "مدخل إلى القرآن الكريم: في التعرف بالقرآن" للدكتور محمد عابد الجابري، محمد إكيح، ورقة بحثية قدمت في ورشة علمي، نظمتها مؤسسة مؤمنون بلا حدود للأبحاث والدراسات، الرباط - المغرب، سنة 2015.

رابعا: المجلات العلمية المحكمة

- مجلة الشهاب، معهد العلوم الإسلامية، جامعة الوادي - الجزائر، العدد الثاني، سنة 1437هـ / 2016م.

رابعا: المواقع الإلكترونية

www.aljazeera.net/news/cultureandart
<https://www.mominoun.com/articles>
<http://www.riyadhalelm.com/play-6682.html>
<https://shamela.ws/rep.php/book/4859>
<https://www.youtube.com/watch?v=pbjzlTPXSD8>

تجربة محمد عابد الجابري في التعامل مع القرآن الكريم... "دراسة نقدية" د. غنية بوحوش

- الحواشي والإحالات:

- ¹ - ولد محمد عابد الجابري نهاية عام 1935 بالمغرب. حفظ بعض سور القرآن الكريم، وبعض الأدعية، صغيراً، على يد جدّه لأمه. ثم تابع دراسته في مدرسة فرنسية. حصل عام 1967 على دبلوم الدراسات العليا في الفلسفة، ثم دكتوراه الدولة في الفلسفة عام 1970 من كلية الآداب، جامعة محمد الخامس بالرباط. شغل مناصب عديدة في التعليم، ثم أستاذاً للفلسفة بكلية الآداب، بالرباط. شارك محمد الجابري في المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي، بداية الخمسينيات من القرن الماضي، وله أيضاً مشاركات في أنشطة سياسية، ونقابية، قاده بعضها، للاعتقال. كان قيادياً بارزاً في حزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية فترة. حصل محمد عابد الجابري على جوائز عديدة، واعتذر عن أخرى. ولمحمد الجابري، مؤلفات ربت عن الثلاثين، منها: مدخل إلى فلسفة العلوم، نحن والتراث، تكوين العقل العربي، مدخل إلى القرآن، فهم القرآن: التفسير الواضح حسب ترتيب النزول.
- أخذت ترجمته من موقع الجزيرة نت: <http://www.aljazeera.net/news/cultureandart/> تمت الزيارة بتاريخ: 2020/04/07 في الساعة 17.
- ² - ينظر مدخل إلى القرآن الكريم، الجزء الأول في التعريف بالقرآن، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 2، سنة 2007، ص 14.
- ³ - يعترف الجابري أن تراث علوم القرآن تراث ضخم ومهم، ينظر مدخل إلى القرآن، الجابري، ص 151.
- ⁴ - كذا في الأصل، ولعل الصواب: ما، دون كاف.
- ⁵ - مدخل إلى القرآن الكريم، محمد الجابري، ص 17.
- ⁶ - وهو مسلك مخالف للمنهجية العلمية المتعارف عليها، وقد تكرر هذا عند الجابري، فهو يقدم كثيراً من المعلومات، والروايات، ويعرض كثيراً من الأحداث، ولا يكلف نفسه توثيقها، ولا بيان مصادرها، كما أنه يذكر آراء ومذاهب ولا ينسبها لأصحابها، فقد تحدّث عن أريوس، وأحناف العرب، وأنبياء أضاعهم أقوامهم، وغير ذلك كثير، ولم يذكر مرجعاً واحداً. ينظر، مثلاً: مدخل إلى القرآن، ص 44-46-50-60.
- ⁷ - مدخل إلى القرآن الكريم، محمد الجابري، ص 17.
- ⁸ - مدخل إلى القرآن الكريم، محمد الجابري، ص 17.
- ⁹ - مدخل إلى القرآن الكريم، محمد الجابري، ص 17.
- ¹⁰ - مدخل إلى القرآن الكريم، محمد الجابري، ص 17.
- ¹¹ - مدخل إلى القرآن الكريم، محمد الجابري، ص 18.
- ¹² - مدخل إلى القرآن الكريم، محمد الجابري، ص 18.
- ¹³ - مدخل إلى القرآن الكريم، محمد الجابري، ص 18.
- ¹⁴ - مدخل إلى القرآن الكريم، محمد الجابري، ص 18.

- 15- مدخل إلى القرآن الكريم، محمد الجابري، ص 18-19.
- 16- مدخل إلى القرآن الكريم، محمد الجابري، ص 18-19.
- 17- مدخل إلى القرآن الكريم، محمد الجابري، ص 19.
- 18- مدخل إلى القرآن، محمد الجابري، ص 14.
- 19- التزمت عزو الآيات -التي أستشهد بها أو التي استشهد بها الجابري-، إلى سورها في المتن، علماً أن للجابري طريقة غريبة جدا في عزو الآيات، فعند استشهاده بالقرآن الكريم، يعزو الآيات إلى سورها، في الهامش، بقوله مثلا: **القرآن الكريم** (يكتبها بخط سميك)، سورة "الشعراء"، الآيات 192-196، وإن تكرر الاستشهاد في الصفحة نفسها، يقول مثلا: نفس المرجع، "سورة الإسراء"، الآية 106، وهي طريقة غريبة خالفت المعمول به في الدراسات الإسلامية، بل وخالفت المعمول به في الدراسات الاستشرافية، إذ تكفي الدراسات الإسلامية بذكر السورة ورقم الآية. وهو كاف للدلالة على أن ذلك من القرآن الكريم لشهرته العظيمة، وأغرب ما في طريقته: قوله: "نفس المرجع، "سورة كذا"، الآية كذا"، وهو هذا الإطلاق يُسوِّي بين القرآن الكريم، وبين سائر المراجع "البشرية"، التي يدعوها حيناً بالمصادر وبالمراجع حيناً آخر، في حين استقر على مصطلح المرجع مع القرآن الكريم!
- 20- وظَّف محمد الجابري مصطلح "الظاهرة القرآنية"، وادَّعى أنه لا يقصد به القرآن فحسب، كما يتحدث عن نفسه، بل ومعها مختلف الموضوعات، والتصورات التي أقامها المسلمون للاقتراب من مضامين ومقاصد القرآن الكريم. ينظر مدخل إلى القرآن، محمد الجابري، ص 23، ويذكر أن مصطلح "الظاهرة القرآنية" ليس إبداعا جابريا، بل سبق إليه مالك بن نبي، في موسوعته البحثية في الحضارة، إذ جعل عنوانا لأحد كتبه: "الظاهرة القرآنية"، صدرت طبعته الأولى بالفرنسية سنة 1946، ترجمه عبد الصبور شاهين. وصدرت طبعته العربية الأولى في 1958 والثانية 1961. وهو مصطلح متحفظ عليه، لأنه يجيل إلى المذهب الظاهراتي الفلسفي، الذي يفضي إلى التعامل مع القرآن الكريم، كسائر الظواهر الإنسانية، أو الطبيعية... ينظر الشبه الاستشرافية في كتاب مدخل إلى القرآن الكريم للدكتور محمد عابد الجابري رؤية نقدية، عبد السلام البكاري، الصديق بوعلام، دار الأمان، الرباط-المغرب، ط1، سنة 2009، ص 29.
- 21- مدخل إلى القرآن، محمد الجابري، ص 24.
- 22- مدخل إلى القرآن، محمد الجابري، ص 24.
- 23- نقض مطاعن في القرآن الكريم، محمد أحمد عرفة، وكيل كلية الشريعة الإسلامية، وقف على تصحيحه وعلق عليه بعض الحواشي، السيد محمد رشيد رضا، صاحب المنار، مكتبة الزهراء، 9 ش عبد العزيز عابدين، القاهرة، طبعة ثانية 1986م، ص 4.
- 24- المرجع نفسه، ص 26.
- 25- يذكر أن غيره من القراء الحدائين، من مثل محمد أركون يرفضون إضافة أية صفة حميدة للقرآن الكريم،

تجربة محمد عابد الجابري في التعامل مع القرآن الكريم... "دراسة نقدية" د. غنية بوحوش

- زعمًا بأن ذلك يضيف عليه من القداسة، والشحنة الإيانية، ما يحول دون قراءته قراءة علمية موضوعية، بل إنه ذهب إلى تسمية القرآن الكريم بغير ما سواه الله تعالى، كالنص الرسمي المغلق، والخطاب النبوي، ينظر، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي، محمد أركون، ترجمة وتعليق هاشم صالح، دار الساقبي بيروت، لبنان، ط 1 سنة 1999 م، ص 200، ونافذة على الإسلام، محمد أركون، ترجمة صياح الجهيم، دار عطية بيروت، لبنان، ط 1 سنة 1996 م.
- 26- ينظر مدخل إلى القرآن، محمد الجابري، ص 149 وما بعدها.
- 27- مدخل إلى القرآن، محمد الجابري، ص 256-257.
- 28- مدخل إلى القرآن، محمد الجابري، ص 259.
- 29- ألغيت مناقشة الأطروحة، ومنعت إجازتها. ينظر رد افتراءات الجابري على القرآن الكريم، محمد عمارة، دار السلام، القاهرة، سنة 2010، ص 87.
- 30- طبيب فرنسي أسلم، بعد تشريح مومياء فرعون، وأبحاث تاريخية تتصل بشخصيته، ووزيره هامان، وانتهى، بالأدلة والحجج، إلى أن ما ذكر في القرآن الكريم بشأنها، لا يمكن إلا أن يكون حيا ربانيا منزلا، وهذا من إعجاز القرآن الكريم، العلمي، والتاريخي.
- https://www.youtube.com/watch?v=pbjzTPXSD8، تمت الزيارة بتاريخ 2020/4/13، في الساعة: 11:37.
- 31- مدخل إلى القرآن، محمد الجابري، ص 422-423.
- 32- مدخل إلى القرآن، محمد الجابري، ص 424.
- 33- مدخل إلى القرآن، محمد الجابري، ص 212.
- 34- كذا وردت في نص الجابري.
- 35- كذا وردت في نص الجابري.
- 36- مدخل إلى القرآن، محمد الجابري، ص 28-29.
- 37- كذا أوردها الجابري، وكان الأولى أن يذكر الآية من أولها، ليستقيم له الاستشهاد بها، فيما قصده، والآية كاملة كذا: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانًا ۖ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا إِلَّا مَا يَأْتِيكُم مِّنَ الْكِتَابِ ۚ قُلُوبُكُمْ أَكْثَرُ ظُلْمًا ۗ ﴾.
- 38- مدخل إلى القرآن الكريم، محمد الجابري، ص 232.
- 39- ينظر مدخل إلى القرآن الكريم، محمد الجابري، ص 217 وما بعدها.
- 40- ينظر جمع القرآن في العهد النبوي والراشدي: البكري والعثماني في الإتيان في علوم القرآن، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة سنة 1394هـ/ 1974م، ج 1، ص 202، وما بعدها.
- 41- من الشيعة، -متقدمين ومتأخرين-، من يقر بسلامة القرآن الكريم من التغيير. ينظر فصل الخطاب في

- إثبات تحريف رب الأرباب، حسين لن محمد النوري الطبرسي، مخطوط، لوحة 26، وما بعدها.
- 42- لُحِظَ على الجابري الانتقائية في توظيف الأدلة، فهو يعتمد ما وافق رأيه وإن ضعف، ويرد ما خالفه وإن قوي، وهو مسلك غير علمي.
- 43- ينظر مدخل إلى القرآن الكريم، محمد الجابري، ص 175.
- 44- ينظر مدخل إلى القرآن الكريم، محمد الجابري، ص 173.
- 45- ينظر مدخل إلى القرآن الكريم، محمد الجابري، ص 178.
- 46- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، 1379، ج 9، ص 31.
- 47- فتح الباري، ج 9، ص 30.
- 48- مدخل إلى القرآن، محمد الجابري، ص 170-171.
- 49- ينظر مدخل إلى القرآن الكريم: استكشاف أم تشكيك؟ قراءة في كتاب مدخل إلى القرآن الكريم لمحمد عابد الجابري، محمد إكيح، ورشة علمية لمؤسسة مؤمنون بلا حدود، سنة 2015، ص 11. أخذ المقال من الموقع الإلكتروني: <https://www.mominoun.com/articles> تمت زيارته بتاريخ 2020/03/15، على الساعة 11:53.
- 50- مدخل إلى القرآن، محمد الجابري، ص 24.
- 51- مدخل إلى القرآن، محمد الجابري، ص 194.
- 52- ينظر رد افتراءات الجابري على القرآن، محمد عمارة، ص 74، وما بعدها.
- 53- ينظر الفكر الإسلامي قراءة علمية، محمد أركون، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط 2، سنة 1996م. ص 212.
- 54- فهم القرآن الكريم: التفسير الواضح حسب ترتيب النزول، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، ط 2، سنة 2009، ج 1، ص 11 - 12.
- 55- ينظر فهم القرآن الكريم، محمد عابد الجابري، ج 1، ص 14.
- 56- فهم القرآن الكريم، محمد عابد الجابري، ج 1، ص 9-10.
- 57- يشهد لذلك حركة التجديد في التفسير، التي يدعو إليها المهتمون بالتفسير وعلوم القرآن، وهي حركة ذات مبررات شرعية (فريضة التدبر مثلاً)، ولغوية (كون القرآن حملاً أوجه مثلاً)، وواقعية (قصور بعض التفاسير لبعض الآيات مثلاً)، ولها ضوابط تنضبط بها، كي لا تحيد عن الجادة.
- 58- المدخل إلى القرآن، محمد الجابري، ص 27-28.
- 59- ينظر كلام الشاطبي، في الموافقات، ج 2 ص 109، وما بعدها.
- 60- بنية العقل العربي، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، ط 9، سنة

تجربة محمد عابد الجابري في التعامل مع القرآن الكريم... "دراسة نقدية" د. غنية بوحوش

2009، ص 545.

⁶¹ - ينظر مدخل إلى القرآن، محمد الجابري، ص 194.

⁶² - من روائع القرآن، محمد سعيد رمضان البوطي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط 3 سنة 1420 هـ / 1999 م، ص 114-115.

⁶³ - الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد، الشاطبي، تح أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط1، سنة 1417هـ / 1997م، ج4، ص256.

⁶⁴ - فهم القرآن الكريم، محمد عابد الجابري، ج1، ص12.

⁶⁵ - ومنهم: محمد عزة دروزة في كتابه التفسير الحديث. الذي طبع سنة 1963م، وعبدالقادر ملا حويش، وتفسيره المسمى "بيان المعاني على حسب ترتيب النزول" سنة 1964م، ينظر منهج التعامل مع النص القرآني حسب ترتيب النزول، قراءة في كتاب الجابري "فهم القرآن الحكيم"، سليمان محمد الدقور، مؤتمر التعامل مع النصوص الشرعية، كلية الشريعة - الجامعة الأردنية، سنة 2008، تم تحميل المقال من الموقع الإلكتروني: <http://www.riyadhalelm.com/play-6682.html>، تمت زيارته بتاريخ، 04/03/2020، في الساعة 11:52، ص 6، وما بعدها، والتفسير المعاصر للقرآن الكريم وفق مرويات النزول عرض ونقد، إبراهيم رحمان، مجلة الشهاب، معهد العلوم الإسلامية، جامعة الوادي - الجزائر، العدد الثاني، سنة 1437 هـ / 2016م، ص 16 وما بعدها. ويذكر أيضاً أن المستشرق الفرنسي ريجيس بلاشير، وضع ترجمة لمعاني القرآن، اتبع فيها ترتيب النزول، غير أنه عدل عنه إلى ترتيب المصحف. ينظر مدخل إلى القرآن، الجابري، ص 243.

⁶⁶ - ومنها: تسهيل فهم القرآن، متابعة مسار السيرة النبوية، ينظر التفسير المعاصر للقرآن الكريم وفق مرويات النزول عرض ونقد، إبراهيم رحمان، ص 19.

⁶⁷ - ينظر مدخل إلى القرآن، محمد الجابري، ص 243.

⁶⁸ - ينظر فهم القرآن الحكيم، محمد الجابري، ج 1، ص 13، وما بعدها.

⁶⁹ - ينظر فهم القرآن الحكيم، محمد الجابري، ج 1، ص 16-17.

⁷⁰ - ينظر فهم القرآن الحكيم، محمد الجابري، ج 1، ص 18.

⁷¹ - اختلف العلماء في ترتيب السور في المصحف، إلى **ثلاثة أقوال: قول: بالتوقيف، وثان: باجتهاد الصحابة، وثالث: بتوقيفية ترتيب بعض السور، واجتهاد الصحابة في بعضها الآخر.** والراجح القول بأن ترتيب السور في المصحف، توقيفي. ينظر الاتجاه العلماني في علوم القرآن الكريم، الجابري أنموذجاً، سامي عطا حسن، بحث بصيغة وورد، أضيف للمكتبة الشاملة بتاريخ 2012، تم تحميله وقراءته من الموقع الإلكتروني: <https://shamela.ws/rep.php/book/4859>، بتاريخ 2020/04/30، على الساعة 11:31، ص 8 وما بعدها.

- 72- ينظر منهج التعامل مع النص القرآني حسب ترتيب النزول، قراءة في كتاب الجابري "فهم القرآن الحكيم"، سليمان محمد الدقور، ص 26.
- 73- ينظر مدخل إلى القرآن، الجابري، ص 273-275، وفهم القرآن، الجابري، ج 1، ص 45، وما بعدها.
- 74- ينظر فهم القرآن، الجابري، ج 3، ص 14.
- 75- ينظر مدخل إلى القرآن، الجابري، ص 190.
- 76- ينظر فهم القرآن، الجابري، ج 3، ص 114.
- 77- ينظر فهم القرآن، الجابري، ج 3، ص 18.
- 78- ينظر فهم القرآن، الجابري، ج 3، ص 17.
- 79- ينظر مدخل إلى القرآن الكريم، محمد الجابري، ص 14.

The experience of Muhammad Abed Al-Jabri in dealing with the Noble Qur'an, as a definition, understanding, and interpretation
- Critical study -

Dr Ghania BOUHOUCHE

Jijel University – Algeria

gbouhouche@gmail.com

Abstract

The purpose of this article is to present an experience of one of the most famous Arab learned intellectuals, Muhammad Abed Al-Jabri, in dealing with the Holy Qur'an in regards of defining, understanding, and interpreting. The experience is worthy of presenting for the profound knowledge of its conductor about both the Arab Islamic and western philosophy, and his desire to present a renaissance project through a new reading of the Holy Qur'an, a reading that transcends heritage and offers the best alternative as what he saw. Despite his extensive knowledge and sincerity in his reformist desire, his experience was full of risk-taking, contradiction, and errors. It was not without merits though, albeit rare.

Keywords: Contemporary Research; Muhammad Abed Al-Jabri; Definition of the Holy Quran; Interpretation of the Holy Quran; Critical study.

Received:02/06/2020 □ Accepted:05/09/2020 □ Published: 15/09/2020

تجربة محمد عابد الجابري في التعامل مع القرآن الكريم... "دراسة نقدية" د. غنية بوحوش